إبراهيم الحربي
الفقيه، المحدث، الأديب، الزاهد

أ.د. محمد الزحيلي
وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية بجامعة حلب

قال الخطيب البغدادي عنه: «وكان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميزا لعلله، قيماً بالأدب، جمّاعاً للغة، وصنَّف كتباً كثيرة(١)».

اسمه ونسبه :

هو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبدالله بن ديسم، أبو إسحاق البغدادي، الحربي، المروزي.

واتفق علماء التراجم والتاريخ على اسمه واسم أبيه، وكنيته، ونسبه، فهو بغدادي لأنه نشأ في بغداد واشتهر فيها، ومات بها، والحربي نسبة الى الحربية وهي محلة كبيرة بغربي بغداد(٢)، والمروزي، لأن أصله من مرو(٣).

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٢٨.

(٢) نقل الخطيب البغدادي عن إبراهيم أنه سئل: لم سميت الحربي؟ فقال: صحت قوما من الكرخ، على الحديث، وعندهم ما جاز قنطرة العتيقة: من الحربية، فسموني الحربي بذلك. (تاريخ بغداد ٦/٢٨) وانظر: نزهة الالباء ص ٢١٢.

وقال ياقوت الحموي: والحربية محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب، تنسب إلى حرب البلخي أحد قواد أبي جعفر المنصور، وقتل سنة ١٤٧ هـ (معجم البلدان ٢/٢٣٧).

(٣) مرو أشهر خرسان وقصبتها. وهي العظمى بينها (مراصد الاطلاع ٣/١٢٦٢)، وقال =

واختلفت كتب التراجم في اسم جده وما علاه، فقال بعضهم: إن جده بشير(١) بن عبد الله بن ديسم(٢) الحربي(٣)، وقال آخرون: إن جده بشير بن عبدالله البغدادي(٤)، وقال فريق ثالث: إن جده إبراهيم بن بشير بن عبدالله بن ديسم(٥)، وهو ما رجحناه، لأنه قول الأكثر، ولأن قائليه أقرب عهداً منه، وعنهم نقلت ترجمته وأخباره، ونقله الخطيب البغدادي عن تلميذ الحربي وهو ابن حبيش.

= الحربي: قطائعنا في المراوزة (يعني عندنا الكابلية ببغداد) كان لي فيها اثنتان وعشرون داراً أو بستاناً، قال ابن حبيش (تلميذه): وكان يصف لنا نخلة نخلة، ودارا داراً، قال: فبعتها وانفقتها على الحديث (تاريخ بغداد ٦/٢٨).

والمراوزة في بغداد نسبة إلى المروزيين، محلة كانت متصلة بالحربية، وخربت، وكان يسكنها أهل مرو، فنسبت إليهم (مراصد الاطلاع ٣/١٢٥١).

وقال الحربي: أمي تغلبية، وكان أخوالي نصاري أكثرهم (تاريخ بغداد ٦/٢٨، انباه الرواة ١/١٥٥، معجم الأدباء ١/١١٢، المنتظم ٦/٤).

(١) قال ابن السبكي وابن أبي يعلي: بشر، وهو والد جده. (طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٦، طبقات الحنابلة ١/٨٦).

(٢) قال ابن كثير: ابن رستم (البداية والنهاية ١١/٧٩) ولعله تصحيف.

(٣)وهو قول السيوطي في (بغية الوعاة ١/٤٠٨) وابن كثير في (البداية والنهاية ١١/٧٩) وياقوت الحموي في (معجم الأدباء ١/١١٢).

(٤) وهو قول الزركلي في (الأعلام ١/٢٤).

(٥) وهو قول الخطيب في (تاريخ بغداد ٦/٢٧، ٢٨) وابن النديم في (الفهرست ص ٣٢٣)، وابن السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٦) وابن الجوزي في (المنتظم ٦/٣) والقفطي في (ابناه الرواة ١/١٥٥) والعليمي في (المنهج الأحمد ١/١٦٦) والذهبي في (سير اعلام النبلاء ١٣/٣٥٦ والانباري في (نزهة الألباء ص ٢١٣).

وانظر ترجمته أيضا في (المدخل لمذهب الإمام أحمد ص ٢٠٦، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص٤، النجوم الزاهرة ٣/١١٨، طبقات الفقهاء ص ١٧١، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٤/ المطلع ص ٤٢٢).

ولادته ووفاته :

اتفقت المصادر على أن إبراهيم الحربي ولد سنة ١٩٨ هـ/٨١٥م، واتفقوا على انه مات سنة ٢٨٥ هـ/٨٩٨م، وله ٨٧ عاماً، قال إسماعيل الخطمي: مات أبو إسحاق بن إسحاق الحربي يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي في شارع باب الأنبار، وكان الجمع كثيراً جدا، وكان يوماً عقب مطر ووحل، ودفن في بيته رحمه الله تعالى(١)، في بغداد.

نشأته وتعلمه :

نشأ إبراهيم الحربي في بغداد، وانصرف إلى طلب العلم وهو حدث، وكان يملك في بغداد اثنتين وعشرين دارا وبستانا فباعها وأنفقها في طلب العلم(٢)، ولم يذكر أحد أنه رحل عن بغداد، وإنما أخذ العلم عن كبار العلماء فيها، فسمع الحديث عن الحفاظ والمحدثين، منهم أبو نعيم الفضل بن دكين، وأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وعلي بن المديني، وعبيد الله القواريري، ومُسَدد ابن مسرهد، وغيرهم، ودرس اللغة والأدب على أبي عبيد القاسم بن سلام وثعلب وغيرهما، وتفقه على الإمام أحمد بن حنبل، وصحبه عشرين سنة، وتخرج به، فكان من جلة أصحابه، وروى عنه كثيراً، وهو أحد الناقلين مذهب أحمد عنه(٣).

---

(١) طبقات الحنابلة ١/٩١، النهج لأحمد ١/١٥٢، المنتظم ٦/٧، معجم الأدباء ١/١١٢.
وجاء في (البداية والنهاية ١٢/٧٩، وانباء الرواة ١/١٥٨): «وكانت وفاته لسبع» ولعل ذلك تصحيف، لأن القفطي ذكر بعد ذلك انه دفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجة. كما ذكر الذهبي في (سير اعلام النبلاء ١٣/٣٦٤)، أنه دفن في داره يوم الاثنين لسبع بقين من ذي الحجة... في أيام المعتضد» ولعله أراد انه توفي يوم الاثنين لتسع بقين...، وانظر المراجع السابقة.

(٢) تاريخ بغداد ٦/٢٨، إنباه الرواة ١/١٥٦، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٦، طبقات الحنابلة ١/٨٦، المنهج الأحمد ١/١٩٧، معجم الأدباء ١/١١٢، بغية الوعاة ١/٤٠٨، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٦، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٤، تاريخ بغداد ٦/٢٧، المدخل إلى مذهب احمد ص ٢٠٦، المطلع ص ٤٢٢، البداية والنهاية ١١/٧٩، شذرات الذهب ٢/١٩٠، إنباه الرواة ١/١٥٥، نزهة الألباء، ص ٢١٣.

وكان إبراهيم الحربي يجل العلم، ويحترم العلماء، ويقدر مشايخه، ويعترف بالفضل لأهله، لأنه لا يعرف الفضل إلا ذووه، ولذلك كان يثني على الأئمة والفقهاء والمحدثين، ويسجل خصائصهم وفضائلهم بأحرف من نور.

قال إبراهيم: «لقد رأيت رجالات الدنيا، فلم أر مثل ثلاثة: أحمد بن حنبل وتعجز النساء أن تلد مثله، ورأيت بشر بن الحارث من قرنه إلى قدمه مملوءاً عقلاً، ورأيت أبا عبيد القاسم بن سلام كأنه نفخ فيه علم»(١).

وقال إبراهيم : «الشافعي أستاذ الأستاذين، أليس هو أستاذ أحمد؟»(٢).

وقال إبراهيم الحربي: «التابعون كلهم خير، وخيرهم أحمد بن حنبل، وهو عندي من أجلهم»(٣)، وقال: «يقول الناس: أحمد بن حنبل بالتوهم، والله ما أعرف لأحد من التابعين عليه مزية، ولا أعرف أحداً يقدره قدره، ولا نعرف من الإسلام محله، ولقد صحبته عشرين سنة، صيفاً وشتاء، وحراً وبرداً، وليلاً ونهارا، فمالقيته في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس، ولقد كان يقدم أئمة العلماء من كل بلد، وإمام كل مصر، فهم بجلالتهم مادام خارجا عن المسجد، فإذا دخل المسجد صار غلاما متعلماً»(٤).

وكان إبراهيم الحربي مواظباً على طلب العلم، وحضور مجالس أساتذته، فاستمر على صحبة الإمام أحمد عشرين سنة حتى مات، ولزم دروس النحو واللغة خمسين سنة، فقد حدث أبو عمر محمد بن عبدالواحد اللغوي، المعروف

---

(١) طبقات الحنابلة ٨٦/١، المطلع ص ٤٢٣، المنهج لأحمد ١٩٧/١، طبقات الفقهاء ص ٩٢، وزاد الأنباري في نقله قول الحربي عن أحمد: «كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ماشاء، ويمسك ماشاء» (نزهة الألباء ص ١٤١).

(٢) طبقات الفقهاء ص ٩٢.

(٣) طبقات الحنابلة ٩٢/١، المنهج لأحمد ١٩٩/١، قلت: والإمام أحمد ليس تابعيا بالاصطلاح الدقيق للتابعي، وهو من رأي صحابياً فأكثر، وإنما هو تابعي بالمعنى الأعم للتابعين، وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة.

(٤) طبقات الحنابلة ٩٢/١، المطلع ص ٤٢٣.

بغلام ثعلب، وهو تلميذ الحربي، قال: سمعت ثعلباً مراراً يقول: «ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة»(١)، وقال عن نفسه: «لي مذ أجالس أهل العلم سبعين سنة»(٢).

تلاميذ الحربي :

تولى إبراهيم الحربي منصة التدريس والتعليم والإفادة والتحديث، وروى عنه الحديث خلق كثير في بغداد، منهم: موسى بن هارون الحافظ، ويحيى بن صاعد، وأبو بكر بن أبي داود، والحسين المحاملي، وأبو بكر الأنباري، وأبو عمر الزاهد اللغوي، وأبو بكر الشافعي، وأبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي، وغيرهم، وكان يجتمع في مجلسه ثلاثون ألف محبرة، وكان يملي علهم في المسجد، ومن غرفته التي يشرف منها على الناس في داره(٣).

وكان إبراهيم الحربي يقدم علمه بلا أجر، ولا مقابل، ويرفض الهبات والعطايا، وقال: «ما انتفعت من علمي قط إلا حبة، وقفت على إنسان، فدفعت إليه قطعة اشترى حاجة، فأصاب منها دانقاً إلا حبة، فسألني عن مسألة، فأجبته، ثم قال للغلام: أعط أبا إسحاق بدانق، ولا تحطه بنصف حبة»(٤)، وقال له رجل، وقد رأى كتبه: كيف قويت على جمع هذه الكتب؟ فغضب إبراهيم وقال: بلحمي ودمي، بلحمي ودمي»(٥).

---

(١) بغية الوعاة ١/٤٠٨، إنباه الرواة ١/١٥٨، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٥، طبقات الحنابلة ١/٨٩، المنهج الأحمد ١/١٩٨، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٠، تاريخ بغداد ٦/٣٣، نزهة الألباء، ص ٢١٤، المنتظم ٦/٤، معجم الأدباء ١/١١٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٧، طبقات الحنابلة ١/٨٦، المنهج الأحمد ١/١٩٧، بغية الوعاة ١/٤٠٨، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٦، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٤، تاريخ بغداد ٦/٢٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦١، وقال: ما أخذت على علم قط أجراً إلا مرة واحدة، وذكر القصة، تاريخ بغداد ٦/٣٤، طبقات الحنابلة ١/٨٩، معجم الأدباء ١/١١٩.

(٥) تاريخ بغداد ٦/٣٣، إنباه الرواة ١/١٥٨، المنتظم ٦/٤.

كتبه ومصنفاته :

عكف إبراهيم الحربي على التأليف، مع اشتغاله بالتدريس والتحديث، وصنف كتباً كثيرة، ذكر المؤرخون بعضها، وهي:

١ ـ غريب الحديث ٢ ـ مناسك الحج ٣ ـ سجود القرآن

٤ ـ الهدايا والسنة فيها ٥ ـ الحمام وآدابه ٦ ـ دلائل النبوة

٧ ـ كتاب الأدب ٨ ـ كتاب المغازي ٩ ـ كتاب التيمم

١٠ ـ ذم الغيبة ١١ ـ النهي عن الكذب ١٢ ـ ناسخ القرآن ومنسوخه

وكان عنده اثنا عشر ألف جزء في اللغة وغريب الحديث، كتبها بيده(١).

مكانته العلمية :

كان إبراهيم الحربي أحد العلماء الأعلام الذيت تصدّروا مجالس العلم في بغداد، وقصدهم الناس في طلب العلم، وبرز تفوقه خاصة في ثلاثة علوم، فكان جماعاً للغة، قيماً بالأدب، وكان عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام، وكان حافظاً للحديث ومن أعلام المحدثين، وسنفرد كل جانب بنبذة مختصرة:

١ ـ الحربي لغوياً وأدبياً :

صرف إبراهيم الحربي همته إلى اللغة والأدب، وتتلمذ لأبي عبيد القاسم ابن سلام، وواظب على حضور مجالس ثعلب، وأصبح متمكناً في اللغة والأدب، وروى عنه الشعر، وأخذ عنه من الأدباء أبو بكر بن الأنباري النحوي، وأبو عمر الزاهد صاحب ثعلب، وعده علماء التراجم والطبقات والتاريخ من أئمة الأدب واللغة والنحو، وترجموا له في بعض الكتب مثل «إنباه الرواة على أنباء النحاة» و«البُلغة في تاريخ أئمة اللغة» و«نزهة الألباء في طبقات الأدباء» وغيرها.

---

(١) الفهرست ص ٣٢٣، المنهج الأحمد ١/١٩٧، إنباه الرواة ١/١٥٥، كشف الظنون ١/٤٩٥، ٢/١٥٦، ٥٢٣، طبقات الحفاظ ص ٨٦، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٥، معجم الأدباء ١/١١٨، ١٢٨، طبقات المفسرين ١/٥، وانفرد الداودي بذكر كتاب له «ناسخ القرآن ومنسوخه».

وصنف الحربي في اللغة، وكان عنده اثنا عشر ألف جزء في اللغة وغريب الحديث، كتبها بخطه(١).

وكان الحربي ينشد الشعر في كل مناسبة، ويتغنى بالأبيات والحكم، ويستشهد بها في المجال العلمي، وفي الحياة العملية، ويحسن الاختيار، وله ذوق رفيع في انتقاء الأشعار، ويحظى بالاحترام والتقدير من أئمة اللغة في عصره كالمبرد وثعلب وغيرهما، فمن ذلك قوله لمن دخل عليه يعوده في مرضه، وقد سأله كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: أجدني كما قال الشاعر:

دبَّ فِّي البلاءُ سُفلاً وعلوا وأراني أذوبُ عضواً فعضوا

بَليت جِدتي بطاعة نفسي فتذكرت طاعة الله نِضْوا

وكان له طبيب يعالجه في مرضه، فمات الطبيب، فبكى عليه، ثم أنشأ يقول :

إذا مات المعالج من سقام فيوشك للمعالج أن يموت

وكان إبراهيم الحربي يقول: ما أنشدت بيتاً من الشعر إلا قرأت بعده «قل هو الله أحد» ثلاث مرات(٢)، وإن كتابه «غريب الحديث» أكبر دليل على تمكنه في اللغة والأدب كما سنرى.

٢ ـ الحربي فقيهاً :

درس إبراهيم الفقه على علماء بغداد وفقهائها في المذهب الشافعي والمذهب الحنبلي، ولكن أخذه للفقه الشافعي كان قليلاً، لذلك ترجم له ابن السبكي في

---

(١) الأعلام ١/٢٥، وانظر: طبقات الحنابلة ١/٨٨، المنهج الأحمد ١/١٩٨، نزهة الألباء، ص ٢٢٩، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٩، تاريخ بغداد ٦/٣٣، ومعجم الأدباء ١/١١٨، المنتظم ٦/٦، صفة الصفوة ٢/٤٠٧.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٦/٣٧ ـ ٣٨، طبقات الحنابلة ١/٩٠، المنهج الأحمد ١/٢٠٠، إنباه الرواة ١/١٥٥، البلغة ص ٤، المنتظم ٦/٦، معجم الأدباء ١/١٢٢ ـ ١٢٤، صفة الصفوة ١/٤١٠.

طبقات الشافعية الكبرى» ثم قال : «وذكرُه في الحنابلة أولى من ذكره في الشافعية»(١)، وتفقه الحربي على الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى مباشرة، وصحبه عشرين سنة، وصار من جلة أصحابه، ونقل عنه مسائل في المذهب، منها: الدعاء في الصلاة قائماً بعد الختمة، وبغير ما في القرآن، الاقتداء بمن كان مؤتماً بإمام سابق، القراءة خلف الإمام، ميراث حمل الحرة المتزوجة من مملوك، اليمين بالطلاق(٢).

وصنف إبراهيم الحربي عدة كتب في الفقه، منها: مناسك الحج، وسجود القرآن، والهدايا والسنة فيها، والحمام وآدابه، وكتاب التيمم، وكتاب المغازي.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: كان أبي يقول لي: امض إلى إبراهيم الحربي حتى يلقي عليك الفرائض(٣)، وكان عبدالله يحترم إبراهيم الحربي كثيراً لعلمه وفقهه، ولما مات سعيد بن أحمد بن حنبل جاء إبراهيم الحربي إلى عبدالله بن أحمد يعزيه، فقام إليه عبدالله، فقال: تقوم إلَيّ؟ فقال عبدالله: والله لو رآك أبي لقام إليك؟ قال الحربي: والله لو رأى ابن عيينة أباك لقام إليه(٤).

وكان إبراهيم الحربي ملتزماً مذهب الإمام أحمد، ومتوقفاً عند اجتهاده وآرائه وأحكامه، ولما نقل رأي الإمام أحمد في القراءة خلف الإمام: «يقرأ فيما خافت، وينصت فيما جهر، سأله السامع: إيش ترى أنت؟ قال: أنا ذاك علمني، وعنه أخذت، وصحبته وأنا غلام، وكل شيء يلقيه إلينا أخذته عنه، وتمسك به قلبي، فأنا عليه، أقرأ إذا لم أسمع، وإذا جهر سمعت، ومن خالفني أهونت به»(٥).

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٧.

(٢) طبقات الحنابلة ١/٨٦، ٩١ ومابعدها، المنهج الأحمد ١/١٩٩، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٤، شذرات الذهب ٢/١٩٠.

(٣) طبقات الحنابلة ١/٨٩، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٥.

(٤) المنهج الأحمد ١/١٩٨، طبقات الحنابلة ١/٨٩، معجم الأدباء ١/١٢٠.

(٥) طبقات الحنابلة ١/٩٣، المنهج الأحمد ١/٢٠٠.

وقال إبراهيم الحربي: كل شيء أقول لكم: هذا قول أصحاب الحديث، فهو قول أحمد بن حنبل، هو ألقى في قلوبنا منذ كنا غلماناً اتباع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والاقتداء بالتابعين(١).

وكان إبراهيم الحربي يلتزم في الفقه مدرسة أهل الحديث، ومنهجهم، وكان يثني عليهم، ويدعو لذلك، فيقول: «لا أعلم عصابة خيراً من أصحاب الحديث، إنما يغدو أحدهم، ومعه محبرة، فيقول: كيف فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف صلى، إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع، فإن الرجل إذا أقبل ببدعة ليس يفلح»، وقال إبراهيم الحربي أيضا: «ينبغي للرجل إذا سمع شيئا من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتمسك به» ونقل الحربي قال: خرج إلينا أبو يوسف القاضي يوماً، وأصحاب الحديث على الباب، فقال: «ما على الأرض خير منكم، قد جئتم أو بكرتم تسمعون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٢).

وكان إبراهيم الحربي يعرف مكانة الإمام أحمد في العلم والفضل، ويعترف باتباعه وتلمذته، نقل ابن عتاب قال: كان إبراهيم الحربي رجلاً صالحاً من أهل العلم، بلغه أن قوماً من الذين كانوا يجالسونه يفضلونه على أحمد بن حنبل، فوقفهم على ذلك، فأقروا به، فقال: «ظلمتموني بتفضيلكم لي على رجل لا أشبهه، ولا ألحق به في حال من أحواله، فأقسم بالله، لا أسمعكم شيئا من العلم أبداً، فلا تأتوني بعد يومكم»(٣).

٣ ـ الحربي حافظاً ومحدثاً :

كان إبراهيم الحربي من أعلام المحدثين، فكان حافظاً للحديث، إماما فيه، سمعه من الإمام أحمد وآخرين، ثم روى الحديث، وأخذه عنه خلق كثير، وكان

---

(١) طبقات الحنابلة ١/٩٢، المنهج الأحمد ١/١٩٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٨.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٤.

خبيراً بعلم الحديث ومصطلحه، مميزاً لعلله وأسانيده وقواعده، وكان ملتزماً الحديث، كما سبق، متقيداً بأصول التحديث وأهل الحديث، مثنياً على طريقتهم.

قال أحمد بن مروان الدينوري: أتينا إبراهيم الحربي، وهو جالس على باب داره، فسلمنا وجلسنا، فجعل يقبل علينا، فلما أكثرنا عليه، حدثنا حديثين، ثم قال لنا: «مثل أصحاب الحديث مثل الصياد الذي يلقي شبكته في الماء، فيجتهد، فإن أخرج سمكة، وإلا أخرج صخرة(١)»، وقال الحاكم: سمعت محمد ابن عبدالله الصفار، سمعت إبراهيم الحربي ـ وحدث عن حميد بن زنجويه، عن عبدالله بن صالح العجلي بحديث ـ فقال: اللهم لك الحمد، ورفع يديه فحمد الله، ثم قال: عندي عن عبدالله بن صالح قمطر، وليس عندي عن حميد غير هذا الطبق، وأنا أحمد الله على الصدق، ثم قال الحاكم: زادني فيه بعض أصحابنا: عن الصفار، فقال رجل: يا أبا اسحاق، لو قلت فيما لم تسمع: سمعت، لما أقبل الله بهذه الوجوه عليك(٢).

وقال إبراهيم الحربي: «كان إسحق الموصلي (٢٣٥ هـ) ثقة صدوقاً عالماً، وما سمعت منه شيئاً، ولوددت أني سمعت منه»(٣).

وقد عده الذهبي من الحفاظ، فقال عنه: «الإمام الحافظ، شيخ الإسلام...(٤)»، وقال عنه ابن النديم: «من جلة المحدثين، العارفين بالحديث.. وكان من الحفاظ»(٥).

وبرز تفوق الحربي في الحديث، واضطلاعه به، وتعمقه فيه، وخبرته في

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٢.

(٢) تاريخ بغداد ٦/٣٠، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٨، ٣٦٢، وانظر قصته مع علي بن المديني في تاريخ بغداد ١/٣٧، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٩، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٧.

(٣) نزهة الألباء، ص ١٧١.

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٤، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٦.

(٥) الفهرست ص ٣٢٣، وعده السيوطي من الحفاظ، انظر: طبقات الحفاظ ص ٢٥٩.

مصطلحه وعلومه، في تصنيف كتابه «غريب الحديث» الذي يدل على حفظه ورواياته، وعلى معرفته باللغة والأدب، فكان هذا الكتاب أهم كتبه وأعلاها، وهو آخر ما عمله، ونظراً لأهمية هذا الكتاب، وجمعه بين الحديث واللغة والفقه والأحكام ومصطلح الحديث وعلله، نفرده بشيء من التوسع لإلقاء الضوء عليه.

قال القفطي: «غريب الحديث»، وهو أجل كتاب، وأكبر ما صنف في هذا النوع»(١).

وقال الذهبي «يروى: أن إبراهيم لما صنف «غريب الحديث» وهو كتاب نفيس كامل في معناه، قال ثعلب: ما لإبراهيم وغريب الحديث؟! رجل محدث، ثم حضر مجلسه، فلما حضر المجلس سجد ثعلب، وقال: ما ظننت أن على وجه الأرض مثل هذا الرجل»(٢).

ووصف حاجي خليفة هذا الكتاب، فقال: «غريب الحديث للإمام إبراهيم ابن إسحاق الحربي الحافظ..» وجمع كتابه في غريب الحديث، وهو كبير في خمس مجلدات، بسط القول فيه، واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدها، وأطاله بذكر متونها، وإن لم يكن فيها إلا كلمة واحدة غريبة، فطال لذلك كتابه، فترك وهجر، وإن كان كثير الفوائد»(٣).

وبين ابن النديم مضمون الكتاب، فقال: «وله كتاب غريب الحديث، والذي

---

(١) إنباه الرواة ١/١٥٥، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٦، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٥، بغية الوعاة ١/٤٠٨.

ولم يصل إلينا من هذا الكتاب العظيم إلا المجلدة الخامسة منه، وقد حققها الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، وحصل بها على شهادة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها ـ من شعبة اللغويات من كلية اللغة العربية «جامعة أم القرى» بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢ هـ، وطبعها مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في ثلاثة أجزاء كبيرة سنة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م، ولا تزال المجلدات الأربع من الكتاب مفقودة.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٦.

(٣) كشف الظنون ٢/١٥٦.

خرج منه: مسند أبي بكر، مسند عمر، مسند عثمان، مسند علي، مسند الزبير، مسند طلحة، مسند سعد بن أبي وقاص، مسند عبدالرحمن بن عوف، مسند العباس، مسند شيبة بن عثمان، مسند عبدالله بن جعفر، مسند المِسْور بن مخرمة الزهري، مسند المطَّلب بن ربيعه، مسند السائب المخزومي، مسند خالد ابن الوليد، مسند أبي عبيده بن الجراح، مسند معاوية وغيره(١)، مسند عمرو ابن العاص، مسند عبدالله بن عباس، مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب، مسند الموالي، وهو آخر ما عمل(٢).

وكان إبراهيم الحربي يستدرك على غيره، ويصحح ويدقق، ويتعقب ما سبقه، ولو كان من أساتذته وشيوخه، لأن الحق أحق أن يتبع، ومنهم أستاذه أبو عبيد، قال أبو أيوب سليمان البزاز: سمعت إبراهيم الحربي يقول: في كتاب أبي عبيد «غريب الحديث» ثلاثة وخمسون حديثاً ليس لها أصل، قد علّمت عليها في كتاب السروي... وذكرها»(٣).

ثناء العلماء على الحربي :

وإظهاراً لمكانة الحربي العلمية، فقد اعترف الناس له بذلك، وأكثروا من الثناء عليه، وإطرائه، ونقل صورته إلى كل مكان، ونذكر طرفاً من ذلك.

قال أبو علي الحسين بن فهم، وذكر إبراهيم الحربي لصديقه: والله يا أبا محمد، لا ترى عيناك مثل أبي إسحاق أيام الدنيا، ولقد رأيت وجالست الناس

---

(١) زاد ياقوت الحموي فقال: مسند ما روي عن معاوية، مسند ما روي عن عاصم بن عمر، مسند صفوان بن أمية، مسند جبلة بن هبيرة، مسند عمران بن حصين، مسند حكيم بن حزام، مسند عبدالله بن زمعة، مسند عبدالله بن سمره...، مسند عبدالله ابن عمرو» ولم يذكر مسند عبدالله بن عباس، انظر: معجم الأدباء ١/١٢٨.

(٢) الفهرست ص ٣٢٣، وانظر معجم الأدباء ١/١٢٨، البلغة ص ٥، المدخل إلى مذهب أحمد ص ٢٠٦.

(٣) تاريخ بغداد ٦/٣٥، معجم الأدباء ١/١٢١، ونقل الأنباري عنه أنه قال: «مائة وخمسة وعشرون حديثاً ليس لها أصل قد علمت عليها في كتابي». (نزهة الألبا ء، ص ٢١٤).

من صنوف أهل العلم والحذق بكل فن منه، فما رأيت رجلاً أكمل في ذلك كله من أبي إسحاق رحمه الله تعالى(١).

وقال محمد بن صالح القاضي: لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الأدب والفقه والحديث والزهد(٢).

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي: سألت الدارقطني عن إبراهيم الحربي، فقال: كان إبراهيم الحربي إماماً، يقاس بأحمد بن جنبل في زهده وعلمه وورعه، وقال الدارقطني أيضا: وإبراهيم إمام عالم بكل شيء، بارع في كل علم، صدوق، وعن الدارقطني قال: إبراهيم الحربي ثقة(٣).

وكان إسماعيل بن إسحاق القاضي يشتهي أن يلتقي إبراهيم الحربي، فالتقيا، وتذكرا، فلما افترقا، سئل إبراهيم عن إسماعيل، فقال: إسماعيل جبل نفخ فيه الروح، وقال إسماعيل: ما رأيت مثل إبراهيم...، ولما دخل الحربي على إسماعيل القاضي بادر أبو عمر بن يوسف القاضي إلى نعله، فأخذها، فمسحها من الغبار، ولفها، فدعا له الحربي، وقال: أعزك الله في الدنيا والآخرة، وغفر الله لك كما أكرمت العلم، فلما مات أبو عمر، رؤي في النوم، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: أعزني الله في الدنيا والآخرة بدعوة الرجل الصالح، أو قال: أصيبت فيه دعوة إبراهيم الحربي(٤).

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٣٥، ونقل الخطيب أيضا عن أبي بكر أحمد بن يعقوب قال: «وما رأيت بعيني مثله»، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٨.

(٢) طبقات الحنابلة ١/٨٩، المنهج الأحمد ١/١٩٩، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٧، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٥، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٩، ٣٦٨، نزهة الألباء ص ٢١٤، تاريخ بغداد ٦/٣٥.

(٣) تاريخ بغداد ٦/٤٠، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٠، طبقات الحنابلة ١/٩١، المنهج الأحمد ١/١٩٩، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٧، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٥، نزهة الألباء، ص ٢١٤، معجم الأدباء ١/١٢٥، بغية الوعاة ١/٤٠٨، المنتظم ٦/٤، البداية والنهاية ١١/٧٩، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٧، معجم الأدباء ١/١٢٦.

الحربي زاهداً :

كان الإمام أحمد بن حنبل من أزهد الناس في الدنيا، ويضرب به المثل في الزهد والورع، وكان إبراهيم الحربي تلميذاً للإمام أحمد، وصحبه عشرين سنة، فسار على شاكلته في الزهد والورع، حتى صار يقاس به فيهما، وعرف الحربي في زمانه، وفي جميع المصادر وكتب التراجم، بأنه إمام في الزهد، وكان كذلك، مع تواضعه الجم في علمه وسلوكه وتعامله مع أهله وبقية الناس.

فقد ورث دوراً وبساتين كثيرة فباعها لطلب العلم والحديث، وورث من خاله مالا كثيرا فلم يفرغ له، ولا ذهب إلى أخذه، وعاش مقلا في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، لا يهمه إلا طلب العلم، وتحصيل المعارف، ورضاء الله تعالى، والطمع بما عنده في الدار الآخرة، وكانت نفسه أبيّة، وينعم بغنى النفس الكامل، فلا يطمع بمال أحد، ولا يتطلع إلى جمع المال، ومكث ثلاثين سنة يكتفي برغيفين في كل يوم، تقدمهما له أمه أو أخته، وبقي ثلاثين سنة أخرى مكتفياً برغيف واحد تقدمه له زوجته أو ابنته، فإن غابتا عنه بقي بلا طعام إلى الغد، وصنف الكتب الكثيرة كما سبق، وجلس للتعليم والتدريس أكثر من خمسين سنة، ولم يأخذ أجراً على ذلك، ولم ينتفع من كتبه مالا، وترفع عن هدايا الخليفة وعطاياه، وقد أرسل له المعتضد مرة عشرة آلاف درهم فردها، وأرسل له مرة أخرى ألف دينار في مرض موته فردها أيضا، وكان بيته يخلو حتى من الملح للطعام، وهو صابر على كل ذلك، لا يشكو فقرا، ولا مرضا، ولا حاجة لأهله وأقاربه ومن حوله(١)، وهذه بعض طرائفه.

قال إبراهيم الحربي: قطائعنا في المراوزة ـ يعني عندنا في الكابلية ببغداد ـ كان لي فيها اثنتان وعشرون داراً وبستاناً، قال ابن حبيش (تلميذه): وكان يصف لنا نخلة نخلة، وداراً داراً، قال: فبعتها وأنفقتها على الحديث، وورثت من

---

(١) إنباه الرواة ١/١٥٧، البداية والنهاية ١١/٧٩، المنتظم ٦/٦، معجم الأدباء ١/١١٧، صفة الصفوة ٢/٤٠٧، تاريخ بغداد ٦/٣١، طبقات الحنابلة ١/٨٧ ـ ٨٩، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٣.

خال بحولايا (في العراق) عشرين ومائة جريب فيها رطبة، فلم أفرغ لها، ولا ذهبت أخذت منها، لا أصلا، ولا فرعا فذهبت إلى الآن(١).

وقال الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنأ بعيشه، وقال: كان قميصي أنظف قميص،، وإزاري أوسخ إزار، ما حدثت نفسي بأيهما يستويان قط، وفرد عقبي صحيح، والآخر مقطوع، ولا حدثت نفسي أني أصلحها، ولا شكوت لأمي وأقاربي حمى أجدها، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين، ما أخبرت به أحدا، وأفنيت عمري ثلاثين سنة برغيفين، إن جاءتني بهما أمي أو أختي، وإلا بقيت جائعاً إلى الليلة التالية، وأفنيت ثلاثين سنة برغيف في اليوم والليلة، إن جاءتني به امرأتي أو بناتي، وإلا بقيت جائعاً، والآن آكل نصف رغيف، وأربع عشرة تمرة، وقام إفطاري في رمضان هذا بدرهم ودانقين ونصف(٢).

وقال إبراهيم الحربي: الرجل كل الرجل الذي يدخل غمه على نفسه، ولا يدخله على عياله، وقد كانت بي شقيقة منذ أربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشرون سنة أبصر بفرد عين ما أخبرت بها أحداً قط، وذكر أنه مكث نيفاً وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غداء ولا عشاء، بل إن جاءه أكله، وإلا طوى إلى الليلة القابلة(٣).

ونقل الخطيب البغدادي عن أبي عثمان الرازي قال: جاء رجل من أصحاب المعتضد الى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك، فرده، فانصرف الرسول، ثم عاد فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال: عافاك الله، هذا مال لم

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٢٨، وانظر: إنباه الرواة ١/١٥٦.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٦، وانظر: معجم الأدباء ١/١١٣، صفة الصفوة ٢/٤٠٥، المنتظم ٦/٤، تاريخ بغداد ٦/٣٠، المنهج الأحمد ١/١٩٧، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٧.

(٣) البداية والنهاية ١١/٧٩، وانظر: تاريخ بغداد ٦/٣١، ولا تعارض بين القولين في عدد السنين، لأنه قد يكون قال ذلك مرتين في فترتين متلاحقتين.

نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك(١)، وزاد الذهبي: «فرده عليه أوحش رد، وقال: رُدَّها إلى من أخذتها منه، وهو محتاج إلى فلس»(٢).

وجاء في طبقات الحنابلة(٣): «قال أبو القاسم الختلي: اعتل إبراهيم الحربي علة أشرف فيها على الموت، فدخلت عليه يوما، فقال لي: يا أبا القاسم، إنا في أمر عظيم مع ابنتي، ثم قال لها: قومي اخرجي إلى عمك، فخرجت، فألقت على وجهها خمارها، فقال لها إبراهيم: هذا عمك كلميه، فقالت لي: نحن في أمر عظيم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدهر مالنا طعام إلا كسرا يابسة وملحاً، وربما عدمنا الملح، وبالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر ألف دينار، فلم يأخذها، ووجه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منها شيئا، وهو عليل، فالتفت الحربي إليها وتبسم، وقال: يابنَيَّة، إنما خفت الفقر؟ قالت: نعم، قال لها: انظري إلى تلك الزاوية، فنظرت، فإذا كتب، فقال: هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب، كتبته بخطي، إذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبيعينه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم ليس هو بفقير».

ونقل الخطيب البغدادي(٤) عن إبراهيم الحربي قال: «ماكنا نعرف من هذه الأطبخة شيئاً، كنت أجيء من عشي إلى عشي، وقد هيأت لي أمي باذنجانة مشوية، أو لعقة بن (من الشحم والسمن) أو باقة فجل» وقال أبو علي الخياط: «كنت يوماً جالساً مع إبراهيم على باب داره، فلما أن أصبحنا قال لي: يا أبا علي

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٣٢، وانظر: طبقات الحنابلة ١/٨٨، المنهج الأحمد ١/١٩٨، إنباه الرواة ١/١٥٧، معجم الأدباء ١/١١٧، صفوة الصفوة ٢/٤٠٦، المنتظم ٦/٥، البداية والنهاية ١١/٧٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٢، وانظر: تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٥.

(٣) طبقات الحنابلة ١/٨٨، المنهج الأحمد ١/١٩٨، تاريخ بغداد ٦/٣٣، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٠، إنباه الرواة ١/١٥٧، البداية والنهاية ١١/٧٩، المنتظم ٦/٦، معجم الأدباء ١/١١٨.

(٤) تاريخ بغداد ٦/٣١، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٧.

قم إلى شغلك، فإن عندي فجلة قد أكلت البارحة خضرها، أقوم أتغذى بجزرتها» وكان الحربي يقول : «ما تروَّحت ولا روَّحت قط، ولا أكلت من شيء واحد في يوم مرتين».

ونقل الخطيب البغدادي عن أحمد بن سلمان القطيعي قال: «ضقت إضاقة، فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه، فقال لي: لا يضق صدرك، فإن الله من وراء المعونة، وإني ضقت مرة حتى انتهى أمري في الإضاقة إلى أن عدم عيالي قوتهم، فقالت لي زوجتي: هب أني وإياك نصبر، فكيف نصنع بهاتين الصبيتين؟ فهات شيئا من كتبك حتى نبيعه، أو نرهنه، فضننت بذلك، وقلت: اقترضي لهما شيئا، وأنظريني بقية اليوم والليلة، وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي، فكنت أجلس فيه للنسخ وللنظر، فلما كان في تلك الليلة إذا داق يدق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من الجيران، فقلت: ادخل! فقال أطفيء السراج حتى أدخل، فكببت على السراج شيئاً، وقلت: ادخل، فدخل وترك إلى جانبي شيئاً، وانصرف، فكشفت عن السراج ونظرت، فإذا منديل له قيمة، وفيه أنواع من الطعام، وكاغد فيه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجة، وقلت: أنبهي الصبيان حتى يأكلوا، ولما كان من الغد قضينا ديناً كان علينا من تلك الدراهم، وكان وقت مجيء الحاج من خراسان، فجلست علي بابي من عند تلك الليلة، وإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقاً، وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي، فانتهى إليّ، فقلت: أنا ابراهيم الحربي، فحط الحملين، وقال: هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان، فقلت، من هو؟ فقال: قد استحلفني أن لا أقول من هو»(١).

من أقوال الحربي المأثورة :

ونذكر هنا طرفاً من أقوال إبراهيم الحربي المأثورة عنه، لتكون عبرة لغيره.

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٣٢، وانظر: سير أعلام النبلاء، ١٣/٣٦٨، إنباه الرواة ١/١٥٧، معجم الأدباء ١/١١٥ ـ ١١٦، صفوة الصفوة ٢/٤٠٨.

اجتمع إبراهيم الحربي، وأحمد بن يحيى ثعلب، فقال ثعلب لإبراهيم: متى يستغني الرجل عن ملاقاة العلماء؟ فقال له إبراهيم: إذا علم ما قالوا، وإلى أي شيء ذهبوا فيما قالوا(١).

وحضر بنان العكي مع ابنين له عند أبي إسحاق الحربي، فقال له إبراهيم: هؤلاء أولادك؟ قال: نعم! قال: احذر لا يرونك حيث نهاك الله، فتسقط من أعينهم(٢).

قال سليمان بن إسحاق الجلاب: سمعت الحربي يقول: الأبواب تبنى على أربع طبقات: طبقة المسند، وطبقة الصحابة، وطبقة التابعين، فيقدم كبارهم، كعلقة والأسود، وبعدهم من هو أصغر منهم، وبعدهم تابع التابعين، مثل سفيان، ومالك، والحسن بن صالح، وعبيد الله بن الحسن، وابن أبي ليلى، وابن شبرمة، والأوزاعي، وروى عنه قال: الناس على أربع طبقات: مليح يتملح، ومليح يتبغض، وبغيض يتملح، وبغيض يتبغض، فالأول هو المنى، والثاني: يتحمل، وأما بغيض يتملح فإني أرحمه، وأما البغيض الذي يتبغض، فأفر منه(٣).

وقال إبراهيم الحربي لجماعة عنده: من تعدون الغريب في زمانكم هذا؟ فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه، وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه، وقال كل واحد منهم شيئا، فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل عاش بين قوم صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا أعانوه، ثم ماتوا وتركوه(٤)!!

وقال محمد بن خلف وكيع: كان لإبراهيم الحربي ابن، وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقنه من الفقه شيئاً كثيراً، قال: فمات، فجئت

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٣٦.

(٢) تاريخ بغداد ٦/٣٧، صفوة الصفوة ٢/٤٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٤.

(٤) تارخ بغداد ٦/٣٦، طبقات الحنابلة ١/٨٩، صفوة الصفوة ٢/٤٠٩.

أعزيه، قال: فقال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا، قال: قلت, يا أبا اسحاق، أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا في صبي قد أنجب، ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم، رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبياناً بأيديهم قلال فيها ماء، يستقبلون الناس يسقونهم، وكأن اليوم يوم حار، شديد حره، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، قال: فنظر إلَيّ، وقال: لست أبي، فقلت: فايش أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، فخلفنا آباءنا، نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته(١)

وسبق قوله: «الرجل كل الرجل الذي يدخل غمه على نفسه، لا يدخله على عياله» وقوله: «أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنأ بعيشه».

وصف الحربي في الكتب:

ذكر علماء التراجم والرجال والتاريخ شيخنا الحربي بصفات الكمال، ونعتوه بكامل الأوصاف والسجايا والأخلاق، وذكروا له الالقاب الحميدة. ونحن نقتطف جانباً من أقوالهم باختصار.

قال ابن النديم: «أبو اسحاق من جلة المحدثين، العارفين بالحديث، وكان عالماً ورعاً، عارفاً باللغة، وكان من الحفاظ»، وقال الخطيب البغدادي: «وكان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيّماً بالأدب، جماعاً للغة، وصنف كتبا كثيرة» وهي عبارة جامعة، وجمل مشهودة، افتتحنا بها هذا البحث، وتناقلها عنه معظم العلماء والمصنفين والكتاب، وقال الشيرازي: «إمام في الحديث، وله مصنفات كثيرة»، وقال ابن الجوزي: «وكان إماماً في جميع العلوم، وله التصانيف الحسان، وكان زاهداً في الدنيا»، وقال أيضا: «وكان إماما في العلم، غاية في الزهد، عارفا بالفقه، بصيرا في الأحكام، ماهراً في علم الحديث...» وقال ياقوت الحموي: «الإمام الزاهد، العالم، النحوي، اللغوي الفقيه»، وقال القفطي: «العالم، الكامل، الفاضل، اللغوي،

---

(١) تارخ بغداد ٦/٣٦، طبقات الحنابلة ١/٨٩، صفوة الصفوة ٢/٤٠٩.

المحدث»، وقال الذهبي: «الإمام الحافظ، شيخ الإسلام»، وقال أيضاً: «هو الشيخ الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام.. صاحب التصانيف»، وقال ابن السبكي: «الفقيه، الحافظ»، وقال ابن كثير: «أحد الأئمة في الفقه والحديث وغير ذلك، وكان زاهدا عابداً تخرج بأحمد بن حنبل، وروى عنه كثيراً» وقال الفيروزابادي: «كان قيّما بالأدب، جمّاعاً للغة، حافظاً للحديث، له تصانيف»، وقال السيوطي: «الحربي الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام»، وقال ابن العماد الحنبلي: «الحبر، أحد أركان الدين، والأئمة الأعلام،... وبرع في العلم والعمل وصنف التصانيف الكثيرة، وكان يشبه بأحمد بن حنبل في وقته» ثم نقل ابن العماد مقالة المرداوي فيه، فقال: «كان إماماً في جميع العلوم، متقناً، مصنفاً، محتسبا، عابدا، زاهداً»، وقال الزركلي: «من أعلام المحدثين...، كان حافظاً للحديث، عارفا بالفقه، بصيرا بالأحكام، قيما بالأدب، زاهداً».

الخاتمة :

وبعد فهذه صورة مصغرة عن أحد علمائنا الأعلام، وأحد السلف الصالحين، والعماء العاملين، والزهاد الورعين، الذين يعدون بالآلاف والملايين، ممّن حفلت بهم كتب التاريخ والتراجم، وحملوا مشعل الحضارة العربية والإسلامية، وأناروا سبل الخير والفلاح والهدى للبشرية، فكانوا مصابيح النور والضياء، ومشاعل العلم والحق، ونحن نلتمس صفاتهم، ونتقرى أعمالهم وآثارهم، ونقدمهم للأجيال الحاضرة والمستقبلة، ليقتفوا أثرهم، وينهلوا من معينهم، ويتابعوا طريقهم، فيكونوا خير خلف لخير سلف إن شاء الله تعالى، وعلى الله قصد السبيل، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الفهرست ص ٢٢٣، تاريخ بغداد ٦/٢٨، طبقات الفقهاء ص ١٧١، صفة الصفوة ٢/٤٠٥، المنتظم ٦/٤، معجم البلدان ٢/٢٣٧، إنباه الرواة ١/١٥٥، تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٥، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٦، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٥٦، البداية والنهاية ١١/٧٩، طبقات الحفاظ ٢٥٩، شذرات الذهب ٢/١٩٠، الأعلام ١/٢٤.

مراجع البحث

١ ـ الأعلام، خير الدين الزركلي. الطبعة الثالثة ـ بيروت ـ ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

٢ ـ إنباه الرواة على أنباء النحاة، للوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي ٦٤٦ هـ ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م.

٣ ـ البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤ هـ. الطبعة الأولى، تصوير عام ١٩٦٦م ـ مكتبة المعارف ـ بيروت، مكتبة النصر، الرياض.

٤ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جمال الدين عبدالرحمن السيوطي ٩١١ هـ. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م.

٥ ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ٨١٧ هـ ـ تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م.

٦ ـ تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣ هـ ـ تصوير الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

٧ ـ تذكرة الحفاظ، للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨ هـ ـ ١٣٤٧م ـ طبع وزارة معارف الحكومة العالية الهندية ـ تصوير دار إحياء التراث العربي ـ بدون تاريخ.

٨ ـ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨ هـ ـ ١٣٤٧م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

٩ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ١٠٨٩ هـ ـ تصوير دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.

١٠ ـ صفة الصفوة، لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ٥٩٧ هـ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.

١١ ـ طبقات الحفاظ، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ٩١١ هـ ـ تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م.

١٢ ـ طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الحنبلي ٥٢٦ هـ ـ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م.

١٣ ـ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي ٧٧١ هـ ـ الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤م.

١٤ ـ طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ٤٧٦ هـ ـ حققه إحسان عباس، الناشر دار الرائد العربي ـ بيروت ـ ١٩٧٠م.

١٥ ـ طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ٩٤٥ هـ ـ تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م.

١٦ ـ الفهرست، لابن النديم ٤٣٨ هـ ـ تصوير ونشر دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

١٧ ـ كشف الظنون، ملا كاتب جلبي ١٠٦٧ هـ ـ الطبعة الأولى ـ در سعادت ـ بدون تاريخ.

١٨ ـ المدخل إلى مذهب أحمد، للشيخ عبدالقادر بن أحمد، المعروف بابن بدران ١٣٤٦/١٩٢٧م ـ المطبعة المنيرية ـ بمصر ـ بدون تاريخ.

١٩ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالقوي البغدادي ٧٣٩ هـ ـ طبع عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م.

٢٠ ـ المطلع على أبواب المقنع، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي ٧٠٩ هـ ـ طبع المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م.

٢١ ـ معجم الأدباء، لياقوت بن عبدالله الحموي ٦٢٦ هـ ـ تصوير دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ عن طبعة دار المأمون.

٢٢ ـ معجم البلدان، لياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي ٦٢٦ هـ ـ دار صادر، دار بيروت ـ بيروت ـ الجزء الثاني ـ بدون تاريخ.

٢٣ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧ هـ ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة دار المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٥٧ هـ .

٢٤ ـ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، لعبد الرحمن العليمي ٩٢٨ هـ ـ مطبعة المدني ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م.

٢٥ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨٧٤ هـ ـ مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ـ وزارة الثقافة ـ مصر ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣م.

٢٦ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري ٥٧٧ هـ ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م.